معالجة تلوث الهواء من خلال نصوص القرآن و السنة النبوية و أقوال الفقهاء

إعداد:

د. ضو عمر ضو جماعة

عضو هيئة تدريس بكلية الآداب -جامعة الجبل الغربي- قسم الدراسات الإسلامية

د. أسامة جمعة العجمي

عضو هيئة تدريس بكلية الآداب -جامعة الجبل الغربي -قسم علم الاجتماع

الملخص

يتلخص موضوع هذا البحث في معنى تلوث الهواء، وأسبابه، وطرق علاجه ، وذلك من خلال نصوص القرآن الكريم التي تحدثت عن الإفساد بصفة عامة والذي منه تلوث الهواء، ثم أردفنا ذلك بنصوص الحديث الشريف المعالجة لهذه المشكلة والداعية للحد منها، ثم ختمنا بأقوال الفقهاء المترجمة لما جاء في الوحيَين.

المقدمة

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد

فإن موضوع البيئة موضوع مهم جدا؛ لأنه يلامس حياة الناس في كل شيء، هذه البيئة التي سخرها الله تعالى للإنسان وإذا ما اعتُدي عليها صارت مشكلة حقيقية للعالم أجمع، ومن هذه المشاكل البيئية مشكلة تلوث الهواء الذي خلقه الله تعالى، وجعل كل عناصره متوازنة تلائم حياة الكائن الحي الذي لايعيش إلا به، ولكن الإنسان غيّر هذه الخِلقة ولوثها بسلوكه غير الرشيد، وهذا البحث الموسوم ب(معالجة تلوث الهواء من خلال نصوص القرآن والسنة وأقوال الفقهاء) ذُكرتْ فيه أهم النصوص القرآنية والنبوية المعالجة لمشكلة تلوث الهواء، ثم أقوال الفقهاء في هذه المشكلة حيث استنبطوا من مصادر التشريع المختلفة أحكاما مناسبة تعالج هذه الظاهرة البيئية الخطيرة، ومن خلال هذا كله تبين أن الشريعة الإسلامية فيها الحلول المناسبةلكل ما يحتاجه الناس.

هذا ويظن الغرب وبعض المنبهرين به من أبناء الإسلام بأنه هو من كان له السبق في الاهتمام بقضايا البيئة، ولكن الصحيح ومن ينظر في كتاب الله وسنة نبيه -ρ- يجد أن الإسلام بتشريعاته هو أول من أسس، ووضع اللبنات الأولى في كل صغيرة وكبيرة لشؤون البيئة ومشكلاتها والتي ما زال العالم المعاصر يتخبط في وضع حلول لها من خلال عقد كثير من المؤتمرات الدولية والبحوث والدراسات، ولكن دون جدوى فالتلوث البيئي الذي من أخطر أنواعه تلوث الهواء يزيد كل يوم.[1]

ويمكن السير في سطور هذا البحث -بعد تمهيد مقتضب- على الترتيب الآتي:

أولا: تعريف تلوث الهواء وبيان مصادر هذا التلوث.

ثانيا: معالجة التلوث الهوائي في القرآن الكريم.

ثالثا: معالجة التلوث الهوائي في السنة.

---

[1]ينظر: موقف الإسلام من العبث بالبيئة ص1

رابعا: أقوال الفقهاء في تلوث الهواء.

تمهيد:

خلق الله كل شيء في هذا الكون بمقدار، وأحكم صنعه أيما إحكام قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(القمر: 49) فقد أحكم خلق الكون كله وهو ما يمكن أن يعبر به عن البيئة في مصطلحات القرآن والسنة النبوية، فالكون الذي هو الأرض وما فيها والسماء و الإنسان قد جعله الله سبحانه مهيأ ومنظما ومقدّرا كل ما فيه بقدر قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾(الفرقان:21) وقال تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾(الطلاق:3)واختار الله الإنسان من بين مخلوقاته وكرمه بالعقل، وسخر لخدمته عناصر الكون ومكوناته ، واستخلفه في الأرض قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(البقرة:30) ورتب الله على تسخير البيئة بمكوناتها للإنسان ومهمة استخلافه فيها أمرًا عظيما، وهو إعمارها وإصلاحها وعدم إفسادها حيث قال تعالى: ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾(الأعراف:74) وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾(الأعراف:85)

وكل متدبر للقرآن والسنة يجد فيهما ما يؤكد على أن الإسلام دعا إلى الإصلاح ونهى عن الإفساد، وأوجب ورغب في الاعتدال وحذر من الإسراف، وأرسى مجموعة من المبادئوالثوابت والسلوكيات التي تكفل رعاية البيئة والاعتناء بها والارتقاء بمواردها.

لقد كان نوع من التوازن النسبي بين الإنسان والبيئة التي يعيشها من أرض وماء وهواء وغير ذلك من مكونات البيئة غير أن القرن العشرين وما حمله من ثورة علمية وتكنولوجية خلقت نوعا من الخلل بين الإنسان وبيئته، فما التلوث الحاصل في البيئة إلا بسبب السلوك الخاطئ من الإنسان لبيئته، ولا سيما مكونها الأساسي الهواء الذي بدونه لا تستقيم الحياة وبتلوثه

ستعاني الكائنات الحية من هذا الخطر الداهم، وما يجده العالم اليوم من أخطار التلوث الهوائي هو دليل على خروج الإنسان عن أوامر الله وسننه الكونية التي أمرت بالإصلاح بدل الإفساد.

تلوث الهواء:

"خلق الله الأرض وما عليها وما يتصل بها- وهي التي تكوّن البيئة الطبيعية للإنسان- طاهرة لا خبث فيها، نظيفة لا تحمل أي نوع من التلوث، متوازنة لا خلل فيها، صالحة لحياة الإنسان وقيامه بمهمته"[2]

وخلق الله الكون بأرضه وسماواته على أحسن ما يكون الخلق والإبداع قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (السجدة:7) وقال: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾(النمل: 88) والهواء مما أحسن الله خلقه فليس فيه خبث ولا تلوث ولا اختلال في مكوناته بحكم خِلقته، ولكن إنما يأتي الخبث والتلوث والاختلال للهواء من الإنسان الذي غير هذه الفطرة، وهذه الخِلقة الطبيعية للهواء فالإنسان هو المسؤول عن تلوث الهواء.

وإذا كان الإنسان هو المسبب الرئيسي في تلوث الهواء فهو بهذا قد أحدث أخطر أنواع التلوثات، فإذا كان من الممكن أن ينجح الإنسان في التحكم في مشكلات تلوث الماء وتلوث التربة، اللذين هما أيضا أشكال أخرى من تلوث البيئة، فإن الأمر بخلاف ذلك بالنسبة لتلوث الهواء إذ يصعب التحكم فيه بدرجة كبيرة.[3]

---

[2] رعاية البيئة في شريعة الإسلام، يوسف القرضاوي ص160.
[3] ينظر: الإسلام وحماية البيئة، حسين غانم ص100-101.

أولا: : تعريف تلوث الهواء ومصادر هذا التلوث:

للتعريف بهذا المصطلح لابد من تعريف كل جزء فيه على حدة، ثم تعريفه باعتباره مركبا إضافيا.

فالتلوث لغة: لوث وتلوث النبات بعضه على بعض، وكل ما خلطته ومرسّته فقد لثته ولوثته، وتلوث الثوب بالطين تلوثا تلطخ به، ولوث الماء أي كدره.[4]

أما التعريف الاصطلاحي للتلوث فهو كما يقول أحد الباحثين :" هو تغير كيفي في القدر الذي خلق الله به مكونات أو عناصر النظام البيئي، ناتج عن التدخل غير الرشيد للإنسان يترتب عليه اختلال في توازن البيئة، يعيقها أو يهدد بإعاقتها عن أداء مهمتها التسخرية للإنسان"[5]

أما الهواء من هوى هواء ممدود، وجمعه أهوية، وكل خال هواء.[6]

والهواء كل فرجة بين شيئين، كما بين أسفل البيت إلى أعلاه، وأسفل البئر إلى أعلاها، والجو والهواء بمعنى واحد، قال ابن فارس: الهاء والواو والياء: أصل صحيح يدل على خلوٍ وسقوط، أصله الهواء بين الأرض والسماء؛ سمي لخلوّه، قالوا: وكل خال هواء[7]

واصطلاحا: "خليط من عدة غازات أهمها الأكسجين والنيتروجين وثاني أكسيد الكربون، وبخار الماء، وجميعها يغلف الكرة الأرضية، وهو لازم لحياة الكائن الحي"[8]

تعريفآخر:

يُعبر في الغالب عن الهواء بالغلاف الجوي أو الهوائي.

والغلاف الهوائي في الاصطلاح العلمي: "هو الهواء الرقيق الشفاف الذي يحيط بالكرة الأرضية، ويحميها ويحمي قاطنيها -بإذن الله- من جميع الظواهر الطبيعية غير الملائمة لحياة الكائنات التي تقطن الأرض إلى حين غير معلوم"[9]

فالهواء يتكون من عدة عناصر ومركبات كيميائية تقدر بحوالي مائة عنصر أبرز هذه العناصر غازا النيتروجين بنسبة 87.84% والأكسجين بنسبة 20.946% فلو زادت نسبة الأكسجين مثلا أو انخفضت عن معدلاتها الطبيعية التي قدرها الله سبحانه لتدهورت مظاهر

---

[4]ينظر:الصحاح للجوهري 1/291، مادة: (لوث) والمعجم الوسيط2/844.

[5]الإسلام وحماية البيئة من التلوث حسين غانم ص84.

[6]ينظر: الصحاح للجوهري 6/2537مادة: (هوى)

[7]معجم مقاييس اللغة لابن فارس 6/15وينظر: البيئة في الفقه الإسلامي عبد الله السحيباني ص275-276.

[8]معجم اللغة العربية المعاصرة 3/2379، وينظر: معجم لغة الفقهاء ص495.

[9]أحكام البيئة في الفقه الإسلامي عبد الله السحيباني ص276.

الحياة؛ إذ أن الأكسجين كما هو معروف علميا لابد منه لكل الكائنات الحية، ولكن بنسبة قدّرها الله سبحانه لا تزيد ولا تنقص﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ (الفرقان:2) فالهواء إذاً له أهمية كبيرة بالنسبة للحياة مقارنة بمكونات البيئة الأخرى كالماء والتربة وغيرهما، ومع أنه أوفر تلك العناصر وأرخصها؛ إلا أنه أغلاها وأثمنها فالكائن الحي قد يستغني عن بعض العناصر كالماء والغذاء لعدة أيام ولكن لا يستغني عن الهواء حتى لدقائق قليلة.

تعريف تلوث الهواء:

يُعرف تلوث الهواء في الاصطلاح العلمي: بأنه كل تغيير في خصائص ومواصفات الهواء الطبيعي، يترتب عليه خطر على صحة الإنسان والبيئة سواء أكان هذا التلوث ناتجا عن عوامل طبيعية أو نشاط إنساني[10].

مصادر تلوث الهواء:

تنقسم ملوثات الهواء إلى قسمين:

المصادر الطبيعية: وهي التي لا دخل للإنسان فيها وتتمثل في البراكين والغبار والأتربة ودخان الحرائق في الغابات، وغبار الطلع.

وهذا النوع من الملوثات ليس خطيرا بالنسبة للنوع الآخر.

المصادر البشرية: وهي من أخطر الأنواع وتشمل: ملوثات ناشئة عن عملية حرق الوقود في المصانع ومحطات توليد الطاقة، والملوثات التي تنشأ من عوادم السيارات والقطارات وغيرها من وسائل النقل، وهذه الملوثات الصناعية أو التي يسبب فيه الإنسان إنما هي في الغالب استعمال خاطئ لما سخره الله تعالى للإنسان في هذا الكون.

ثانيا: معالجة تلوثالهواء في القرآن الكريم:

إذا تتبعنا القرآن الكريم لا نجد لفظة الهواء مذكورة فيه إلا في قوله تعالى: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾(إبراهيم:34) ومعناها هنا خلاء؛ أي خالية من العقل والتدبر.

---

[10]المصدر السابق ص283-284.

ولكن المذكور في القرآن بمعنى الهواء وبديلا عنه لفظ الريح بالإفراد والرياح بالجمع، وقد ذُكرت 27 سبعا وعشرين مرة، ويقصد بها الهواء المتحرك في الطبقات المحيطة بالأرض.[11]

وسبق القول بأن الله خلق الأرض وما عليها وما له اتصال بها متوازن كل شيء فيها مقدر بقدره، طاهرة لا تلوث فيها ولا خبث، صالحة للإنسان وأدائه مهمة تعميرها قال تعالى:﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾(النمل: 88) فهذا يعني أنه ليس في الكون شيء خبيث أو ملوث أو مختل التوازن بحكم الخِلقة، ولكن إنما يأتي الخبث والتلوث والاختلال إلى البيئة والتي منها تلوث الهواء من صنع الإنسان الذي غيّر وبدّل في الفطرة والطبيعة.

فالمسؤول عن تلوث الهواء والبيئة بأكملها هو الإنسان قال تعالى على لسان الملائكة بعد ما قال لهم ربهم إني جاعل في الأرض خليفة هو الإنسان: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (القرة:30) فقد تنبأ الملائكة بما أعطاهم الله من عقل وحكمة أن الإنسان لا بد أن يقع منه الفساد والإفساد في بيئته.

والآيات القرآنية التي جاءت تُعنى بالبيئة والتلوث البيئي[12]- والهواء جزء من هذه البيئة- هي تلك التي دعت الإنسان إلى الابتعاد عن كل ما يؤدي إلى الإضرار به ويؤذيه، ويؤدي به إلى التهلكة قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾(النساء:29) فتلويث الهواء هو في الحقيقة إلقاء بالنفس المعصومة إلى الهلاك والموت، وتلويثه بالمفاعلات النووية مثلا أشبه ما يكون بقتل جماعي للناس.

وبما أن الله قد خلق كل شي في هذا الكون بقدر أي متوازن كل ما فيه فقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(القمر: 49)فلو أن نسبة الأكسجين زادت عن معدلها في الهواء الجوي أو نقصت عن هذا المعدل لأصبح هذا الوضع تلوثا للهواء يهدد الحياة بصورة مباشرة وقوية[13]، ولا شك أن الإنسان هو السبب الرئيسي في هذا التلوث بما يحدثه من زيادة الانبعاثات من

---

[11]ينظر: رعاية البيئة في شريعة الإسلام يوسف القرضاوي ص172.

[12]لا يوجد في القرآن والسنة تعبير عن المصطلحات البيئية التي يستخدمها المهتمون بالشأن البيئي في عصرنا الحالي كالتلوث ومنه التلوث الهوائي ، ولا يعني هذا أن القرآن والسنة لم يتناولا قضية البيئة والتلوث البيئي، ولكن القرآن والسنة عبرا عن هذه المصطلحات بألفاظ أخرى أبلغ وأقوى في الدلالة، فلفظ الإفساد الوارد في قوله تعالى: (الذين يفسدون) أشمل وأبلغ من التلوث؛ لأنه يدل على الفساد المادي والمعنوي ومنه فساد الأخلاق، ويعبر القرآن عن مصطلح التوازن البيئي بألفاظ: مثل القدر والتقدير فيقول سبحانه وتعالى:(و كل شي خلقناه بقدر) أي متوازن ومقدر بتقدير معين، بل إن لفظ البيئة بالمعنى المعاصر لم يرد أصلا في القرآن ولا في الحديث النبوي، ولكن يعبر عنه في هذين الأصلين بالحديث عن عناصر البيئة مثل السماء والأرض والماء والبر والبحر والمعادن كالحديد مثلا وغير ذلك. وإذا عرفنا أن البيئة والحفاظ عليها حاضرة في نصوص القران والسنة بمصطلحات وتعبيرات غير التعبيرات المعاصرة أمكننا أن نستخرج من نصوص الكتاب والسنة أوامر تفصيلية تخص رعاية البيئة والحفاظ عليها ومنها موضوع تلوث الهواء.

[13]ينظر: البيئة من منظور إسلامي عبد السلام العبادي ص39.

المصانع والمعامل ووسائل النقل وغيرها. وهذه الملوثات تضر بالبيئة التي توجد فيها، وربما انتقلت إلى مسافات أبعد وألحقت أضرارا بأكبر عدد من الناس والكائنات الحية، بل ربما أصبحت عابرة للقارات والبلدان فقد تنقلها الريح إلى أماكن أبعد من أماكن تكوينها قال تعالى: في أمر الريح التي تأتي للعذاب والعقاب: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ (يونس:22)

"وجماع ما جاء في الدين من أمر بحفظ البيئة ونهي عن أي ضرر بها ما جاء في القرآن والسنة من نهي مغلظ عن الفساد في الأرض ، ومن تشنيع كبير على هذا الصنيع ، وذلك في مواطن متعددة ومواقف مختلفة مما يدل على أن حفظ البيئة من الفساد مقصد ضروري من مقاصد الشريعة الإسلامية ، ومما جاء في ذلك قوله تعالى ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾(الأعراف:85) "[14]

فالإفساد في الأرض له معنيان: الإفساد المعنوي، والإفساد المادي، والإفساد المادي من مظاهره الإضرار بالبيئة ومنه إفساد الهواء بالتلوث، فإذاً قد وضع الإسلام الإطار العام لقانون حماية البيئة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾(الأعراف:85) وفي قوله:﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: 77)

وهذه التوجيهات الإسلامية للإنسان بعدم الإفساد في البيئة إنما جاءت من منطلق أنها ملكية عامة يجب المحافظة عليها حتى يستمر الوجود، والهواء جزء من هذه الملكية التي يجب المحافظة عليها.[15]

ومن مظاهر إفساد الأرض بعد تهيئتها وإصلاحها لتلائم حياة الكائنات الحية- وأهمها الإنسان- إفساده للبيئة النباتية والبرية في الغابات والأشجار التي تعتبر رئة العالم أجمع؛ لأنها تزود الهواء بكميات كبيرة من الأكسجين على مدار فصول السنة حيث يعتبر الأكسجين- كما سبق- مكونا رئيسيا من مكونات الغلاف الجوي، وضروريا للإنسان والكائن الحي، وأيضا أن الأشجار والنباتات تخلص الهواء من كميات كبيرة من غاز ثاني أكسيد الكربون حيث يقوم هذا الغاز الموجود في الغلاف الجوي بامتصاص الأشعة تحت الحمراء المنبعثة من الشمس،

---

[14]البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامي عبد الستار أبو غدة ص5.
[15]ينظر: البيئة والحفاظ عليها في الشريعة الإسلامية عصام الدين الشعار ص2 موقع إسلام أون لاين.

ويترتب على ذلك رفع درجات الحرارة للغلاف الجوي الأمر الذي ينتج عنه ارتفاع في درجات حرارة الأرض، محدثا- كما هو معلوم علميا- تغيرات بيئية مناخية على الأرض.

ومما ورد في القرآن الكريم من التنبيه عن بعض مظاهر الفساد في البر والبحر قوله تعالى:﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾(الروم:41) فإفراغ المفاعلات النووية ومخلفات الأجهزة الإلكترونية وبقايا المواد الكيمائية في البر والبحر من قِبل الدول الكبرى ما هو إلا إفساد للبر والبحر وبيئتيهما، وهذا الفساد يظهر من خلال تأثير هذه المخلفات والمواد في الإنسان والحيوان والنبات ، وذلك بعدة أشياء منها تلويث الهواء، فإذا كانت بعض نصوص الحديث النبوي-كما سيأتي قريبا- تنهى عن النفخ في الإناء فما بالك بهذه المخلفات وانبعاثات الأسلحة الكيميائية والجرثومية وتأثيرها على الناس .

وأيضًا فإن الله تعالى قد ربط بين الفساد في الأرض والقتل للتنبيه على أن موضوع الإفساد في الأرض –والذي منه تلوث الهواء- موضوع خطير قال تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة:32) " وكأن الفساد في الأرض وتلويث مصادرها يؤدي إلى القتل والفتك والموت، وهذه حقيقة يعيشها العالم المعاصر يوميا؛ بحيث يموت الآلاف بل الملايين من البشر بسبب التلوث والمشاكل البيئية الأخرى الناجمة عن الفقر والمجاعات والحروب"[16]

ومن ملوثات الهواء في عصرنا التدخين، هذه الآفة التي تضر بالإنسان وبيئته أو ما يسمى بالبيئة الخاصة التي هي الإنسان نفسه، أو من يلتصق به، أو من يدور في فلكه، فهذه الظاهرة المنتشرة في العالم اليوم انتشارا واسعا ضررها -كما لا يخفى- محقق على المدخن ومن حوله، وقد نهى الإسلام عن هذا الشر وهذا الخبث حيث قال تعالى:﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (الأعراف:157) ولا شك أن الدخان من الخبائث، وأيضا تلويث الهواء بدخان السجائر أمر ظاهر الفساد، وقد نهى الله سبحانه عن الفساد كما سبق.[17]

ثالثا: معالجة تلوث الهواء في السنة النبوية:

ربطت السنة النبوية البيئة بعقيدة المسلم، وجعلتها جزءا من إيمانه بالله؛ ذلك لأن السنة تحرص على نظافة القلب والضمير والوجدان، فأحاطت تصرفات البشر بسياج من مكارم

[16]حماية البيئة من منظور إسلامي طلال المومني ص199.
[17]ينظر: الرؤية الشرعية ومنهجها في الحفاظ على البيئة محمد الشلش ص170.

الأخلاق بحيث تعصمهم من التردي في حمأة الرذائل[18]، ويظهر ذلك في قول النبي-ρ- : "الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ"[19]

وأيضا أرست السنة النبوية نوعا من القيم التي تُعنى بالحفاظ على البيئة، حيث إنها رغبت المسلم إلى بيئته وحببته إليها بأن رتبت ثوابا عظيما جزاء تعامله الرحيم مع بيئته، فجعلت دخول الجنة وتكفير الذنوب ثوابا لمن يحسن إلى بيئته قال الرسول -ρ- :" لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ "[20] وقوله ρ:"بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ"[21]

ومما يمكن أخذه من نصوص السنة في مجال البيئة الجوية أو بيئة الهواء والاهتمام به والنهي عن تلويثه ما يلي:

أن السنة أمرت بأوامر وأرست أدبيات عظيمة منها الاهتمام بالغرس والتشجير الذي له فوائد عظيمة وكثيرة منها تزويد الهواء بكميات كبيرة من الأكسجين-كما سبق توضيحه- حيث روى البخاري ومسلم عن أنس قال: قال: رسول-ρ-:" مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ"[22] وقال:ρ- في حديث يبين شدة الاهتمام بالغرس الذي هو جزء أصيل من مكونات البيئة: "إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ، وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا، فَلْيَغْرِسْهَا"[23] وليس هناك تشجيع وحث على التشجير والغرس أبلغ من هذا الحديث.

وفي جانب النواهي أيضا قال: ρ- "من قطع سِدْرَة صوب الله رَأسه فِي النَّار"[24] وهو وعيد شديد لمن أفسد في الأرض بقطع الأشجار بغير حق.

---

[18]ينظر: موقف الشريعة من موضوع حماية البيئة إيمان قشوش ص52.

[19]رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان

[20]رواه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل إماطة الأذى عن الطريق.

[21]رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان باب التهجير إلى الظهر. وينظر: موقف الشريعة من موضوع حماية البيئة إيمان قشوش ص53 والبيئة في الفقه الإسلامي وقاية وتنمية، خليل الميس ص14.

[22]رواه البخاري في صحيحه كتاب المزارعةباب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه وقول الله تعالى {أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما} ومسلم في صحيحه كتاب المساقاة باب فضل الغرس والزرع.

[23]رواه البخاري في الأدب المفرد وقال الألباني صحيح. ينظر: صحيح الأدب المفرد 195/1.[23]رواه النسائي في سننه في كتاب السير باب قطع السدر وأبو داود في سننه في كتاب الأدب باب في قطع السدر, وقال الألباني صحيح.

[24]رواه النسائي في سننه في كتاب السير باب قطع السدر وأبو داود في سننه في كتاب الأدب باب في قطع السدر, وقال الألباني صحيح.

ومما نهتْ السنة المطهرة عنه تلويث الهواء في الأماكن المغلقة أو الخاصة، فإن عدم الاهتمام بالتهوية الصحيحة للأماكن المغلقة يؤدي في الغالب إلى وجود ملوثات سامة في الهواء الذي يستنشقه ساكنو أو مرتادو هذه الأماكن، ولهذا لم تغفل السنة هذا الجانب في حياة الناس، حيث أمر-ρ- بإطفاء السراج بعد استخدامه عند النوم، ونهى أيضا عن ترك النار في البيت أثناء النوم؛ ففي حديث ابن عمر-τ- قال: قال رسول الله -ρ- "لَا تَتْرُكُوا النَّارَ فِي بُيُوتِكُمْ حِينَ تَنَامُونَ"[25] وقال في حديث آخر عن جابر -τ- :"غَطُّوا الإِنَاءَ ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ[26] ، وَأَغْلِقُوا الْبَابَ ، وَأَطْفِئُوا السِّرَاجَ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَحُلُّ سِقَاءً ، وَلاَ يَفْتَحُ بَابًا ، وَلاَ يَكْشِفُ إِنَاءً ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلاَّ أَنْ يَعْرُضَ عَلَى إِنَائِهِ عُودًا ، وَيَذْكُرَ اسْمَ اللهِ ، فَلْيَفْعَلْ ، فَإِنَّ الْفُوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ"[27]فإذًا قد جاء الأمر بإطفاء المصابيح معللا بما قد تجره الفأرة للفتيلة فيسبب ذلك حريقا في البيت، أو المكان الذي فيه المصباح إلا أن النهي عن ترك النار في البيت عند النوم في الحديث الأول قد جاء مطلقا غير معلل، وهذا يدل على أنه قد يأتي مِن ترك النار عند النوم مفاسد أخرى غير اشتعال النيران واحتراق البيت، وهو ما أثبته علماء البيئة في هذا العصر" فإن النار بما تطلقه في الجو من غازات وأدخنة تحتوي على مئات الملوثات الهوائية، وهي ملوثات مؤذية ضارة، وهي تستهلك -أيضا- كميات كبيرة من أكسجين المكان، مما يؤدي إلى الاختناق والهلاك، إذا لم يكن المكان الذي فيه النار مفتوحا، ولذا يرى علماء البيئة أن النار وحرق الوقود بأنواعه أحد مصادر تلوث أجواء الأماكن المغلقة"[28]

وأيضا مما ورد في بعض روايات الحديث السابق قوله ρ-:" وأوكئوا الأسقية" أي شدُّوا أفواهها لئلا يدخلها حيوان أو حشرات أو يسقط فيها شيء، وذلك لحماية الماء من الملوثات التي قد تنتقل إليه من الهواء أو من الحشرات الناقلة للجراثيم والطفيليات.[29]

ومن اهتمامات السنة المطهرة بالهواء النقي والتهوية الجيدة في الأماكن المغلقة واجتماعات الناس، أنها حذرت من تلويث الهواء بالروائح الكريهة، ومن ذلك ما ورد في الحديث الصحيح عن جابر-τ- قال: قال رسول الله -ρ-: "مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزِلْنَا أَوْ لِيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا"[30] وقد قاس الفقهاء كل مكان مغلق على المصلَى والمسجد، قال القرطبي:" فلا يقربنا ولا يصلي

---

[25]رواه البخاري في صحيحه كتاب الاستئذان باب لَا تَتْرُكُوا النَّارَ فِي بُيُوتِكُمْ حِينَ تَنَامُونَ ومسلم في صحيحه كتاب الأشربة بابالأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها وإطفاء السراج والنار عند النوم وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب

[26]الوكاء: هو خيط القربة الذي تشد به واستعمل في كل ما يربط به من صرة وغيرها.ينظر: الصحاح 2528/6 مادة: (وكى)

[27]رواه مسلم في صحيحه باب الإمارة

[28]أحكام البيئة في الفقه الإسلامي، عبد الله السحيباني ص306

[29]ينظر: البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامي ص74.

[30]رواه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة

معنا يدل على أن مجتمع الناس حيث كان لصلاة أو غيرها كمجالس العلم، والولائم، وما أشبهها؛ لا يقربها من أكل الثوم وما في معناه مما له رائحة كريهة تؤذي الناس"[31] فإن مثل هذه الروائح الكريهة وما في معناها مما يسبب تلوثا للهواء في الأماكن المغلقة، فهذا اهتمام واضح من النبي -ρ- بالبيئة وأهم مكوناتها وهو الإنسان.

ومما يعانيه الناس من بعضهم البعض قديما وحديثا، وربما في زمننا هذا تشتد هذه المعاناة، هو عدم احترام الجار والتعدي على حقه وإلحاق الضرر به مباشرة أو تسبُّبا، والسنة المطهرة أولت حقوق الجار عناية خاصة وكبيرة، فقد جاءت الوصية بالجار من جبريل عليه السلام للنبي-ρ-، وعلق النبي -ρ- الإيمان بالله واليوم الآخر بإكرام الجار حيث قال ρ:"وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ"[32] فقد نفى النبي -ρ- الإيمان على من لم يأمن منه جاره انتهاكاته وبوائقه، ومما يمكن أن يدخل في هذه البوائق الإضرار بالجار مثلا بإشعال النيران في مخلفات الأكل والمعادن واللدائن والقمامة التي تحتوي في الغالب على مواد كيميائية تنبعث منها مواد سامة تؤذي من يستنشقها، وما في حكم البوائق والإضرار بالجار أن تحجب عنه الهواء باستطالة البناء عنه، وقد نص النبي -ρ- على ذلك صراحة:" إن من حق الجار على الجار أن لا يستطيل عليه بالبناء فيحجب عنه الريح إلا بإذنه"[33]

وأيضا من اهتمامات السنة والشريعة بصفة عامة بالإنسان وبيئته أنها ربطت بين الحفاظ على الهواء نقيا من كل رائحة كريهة وبين عبادة المسلم لربه فأوجبت عليه الغسل والوضوء، وشرعت له استعمال المضمضة والسواك والتطيب والتزين وتجنب الروائح الكريهة المنبعثة من الجسد والفم، فيقوم المسلم بحماية البيئة تعبدا وطاعة لربه.[34]

وأما فيما يخص الأماكن التي يرتادها الناس والتي إذا تلوثت سببت أضرارا لهم فقد نبه النبي -ρ- إلى عدم تلويثها، فقال: "اتَّقُوا الْمَلاَعِنَ الثَّلاَثَ الْبَرَازَ فِى الْمَوَارِدِ وَالظِّلِّ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ" هذه الموارد التي ذكر الحديثُ اتقاء البراز فيها هي بيئة يتعامل معها الإنسان، قد يضر تلويثها بهذه الفضلات حيث إن هناك جرثومة الكوليرا تنتشر مع مخلفات الإنسان إلى المياه، أو الهواء،

---

[31]المفهم لما أشكل من صحيح مسلم، القرطبي أبو العباس 98/5وينظر: أحكام البيئة في الفقه الإسلامي عبد السحيباني ص308.
[32]رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب باب إثم من لا يأمن جاروه بوائه.
[33]أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق1/94 والحديث ضعيف، ولكن ذكر المنذري في الترغيب والترهيب 3/243: أنه يتقوى بكثرة طرقه
[34]ينظر: أحكام البيئة في الفقه الإسلامي، عدنان بن صادق ظاهر ص143.

وهذه الجرثومة معروف أنها تؤدي إلى الموت إذا لم يعالج المصابون بها سريعا كما حصل في أماكن عدة من العالم[35]

ومما دعت إليه السنة المطهرة في باب الوقاية من الأمراض المعدية والإجراءات الاحترازية أنها أرست مبدأ الحجر الصحي، ومعناه تقييد أنشطة الأشخاص الذين تعرضوا لمرض سار أثناء دورة سريانه، وذلك حتى لا ينتقل المرض إلى غيرهم، والنبي -ρ- هو أول من وضع قواعد هذا المظهر الصحي، فعن عائشة -τ- عن النبي -ρ- أنه قال: " أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ" [36] وأول من طبقه على أرض الواقع الخليفة الراشد عمر بن الخطاب τ-[37] و منع النبي -ρ- الخروج من الأرض الموبوءة بالطاعون أو الدخول إليها فقال:"إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا"[38] ومن المعلوم أن الطاعون مرض وبائي يصيب الفئران وينتقل منه للإنسان بالبراغيث، يفسد له الهواء وتفسد به الأمزجة والأبدان.[39]

ومما يمكن تطبيق الحجر الصحي عليه في عصرنا الحاضر هو ما يسمى أنفلونزا الطيور الذي ينتقل فيروسه إلى الإنسان عبر الهواء، فتكون الوقاية منه بالتحجير على استيراد الطيور من الدول التي ينتشر فيها هذا الوباء، وهذا يؤخذ من قول النبي-ρ-: " لاَ يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ"[40] قال العلماء: الممرض صاحب الإبل المِراض، والمصح: صاحب الإبل الصحاح، أي لايُورد صاحب الإبل المراض إبله على إبل صاحب الإبل الصحاح.[41] ويمكن حمل الحديث على الدواجن والطيورفي قضية الأنفلونزا، فلا يجوز إيراد الدواجن المصابة بالمرض على الدواجن غير المصابة، وهذا يؤدي إلى إصابة الإنسان كما سبق، وأيضا فيه تلف لأعداد كبيرة من الطيور إذا ما انتقل المرض إليها.

رابعا: أقوال الفقهاء في تلوث الهواء:

قد وقف فقهاء المسلمين القدامى من موضوع تلوث الهواء موقفا رائعا يدل على وعي كبير منهم بأهمية المحافظة على الهواء من الملوثات المختلفة التي تؤثر على صحة الإنسان وبيئته،

---

[35]ينظر:البيئة في الفقه الإسلامي وقاية وتنمية ، خليل الميس ص18.
[36]رواه البخاري في صحيحه في كتاب الطب باب أجر الصابر في الطاعون.
[37]ينظر: موقف الإسلام من العبث بالبيئة ص13.
[38]رواه البخاري في صحيحه في كتاب الطب باب ما جاء في الطاعون.
[39]ينظر: أحكام البيئة في الفقه الإسلامي ، عدنان بن ضاهر ص146.
[40]رواه البخاري في صحيحه في كتاب الطب باب لا هامة.
[41]ينظر: شرح النووي على مسلم 217/14

وهذا الموقف تمثل في أحكام شرعية استنبطوها من مصادر التشريع الإسلامي، وظهر ذلك من خلال أقوالهم وفتاويهم في نوازل حلت بهم أو مسائل وردت إليهم، أو من خلال تأسيسهم لقواعد فقهية كانت بمثابة القوانين التي يحتكم إليها الناس في كل شيء والتي منها تلوث الهواء، وهذه الأحكام يمكن أن نؤسس عليها ما جد في أيامنا من مخاطر بيئية، وما سوف يجد منها،[42]وهذا يعتبر تفسيرا واضحا في أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان.

تلوثالهواء ومعالجته في أقوال الفقهاء وفتاويهم:

تناول الفقهاء أكثر من حالة استندوا فيها على ما يمكن أن يطلق عليها " الحق في الهواء النقي"[43]

من ذلك فتواهم فيما إذا طالت فروع وأغصان شجرة إنسان إلى بيت جاره، وحجبت عنه الهواء فمن حق الجار أن يزيلها عنه إن أمكن، وإلا كان له أن يقطعها ليحصل على حقه في الهواء، فقد قال ابن نجيم الحنفي: "أخذت أغصان شجرة إنسان هواء دار آخر فقطع رب الدار الأغصان؛ فإن كانت الأغصان بحالة يمكن لصاحبها أن يشدها بحبل ويفرغ هواء داره ضمِن القاطع، وإن لم يكن لا يضمن إذا قطع من موضع لو رفع إلى الحاكم أمر بالقطع من ذلك الموضع"[44].

وبمثل هذا القول كانت الفتوى لابن وهب المالكي حيث نقل ابن رشد الجد هذه الفتوى فقال: إن انتشرت وعظمت حتى تخرج فروعها من أرض صاحبها وحدوده، وتقع في أرض جاره وحدوده ويضر به، قطع ذلك الذي أضرَّ به ووقع في حدِّه وأذاه فقط. قال محمد بن رشد: هذا كما قال، وهو مما لا اختلاف فيه أن الرجل إذا غرس في داره شجرة فلجاره أن يقطع ما طال من أغصانها، فأذاه في جداره، ودخل في حصته وهوائه"[45]

ومن النوازل التي نزلت بالناس في وقت من الأوقات دور الدبغ، والتي ينبعث منه هواء كريه يتضرر منها الناس، فأعطاها الفقهاء الحكم الشرعي الذي يناسبها، وربما هذه من أكبر الملوثات التي لوثت بيئة الهواء في زمانهم؛ " فقد سُئل ابن زيتون عن مسجد قديم الموضع مخرب ما حوله من الديار، فأحدثت بجوار المسجد دور للدبغ، ثم قام بعد زمان محتسب وقطعها ونقلها إلى خارج البلد، ثم أراد بعض أرباب الدور إعادتها للدبغ، فأنكر عليه من أراد الاحتساب

---

[42]ينظر: البيئة والمحافظة عليها من منظور أسلامي، محمد الألفي ص7.
[43]ينظر: أقوال فقهاء في تلوث الهواء بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت).
[44]البحر الرائق شرح كنز الدقائق، 192/7.
[45]البيان والتحصيل 407/9-408.

في حق المسجد لما ينالهم من نتن الدبغ وتغيير مائه وما يخلفه من نجاسة مع تقدم بناء المسجد، وحدوث ما ذكر أهل المسجد، فأجاب: ليس لهم إعادة الدور للدبغ، إذا كان ريح الدبغ ونتنه مؤذيًا لأهل المسجد، ولقد تقرر النهي من دخول المسجد لآكل الثوم على الريح المنتنة من الضرر."[46] اعتمد هذا الفقيه بعضا من مصادر التشريع واستنبط منها حكما يناسب هذه النازلة، فاستعمل القياس المصدر الرابع من مصادر التشريع وقاس هذه الريح المنتنة المنبعثة من معمل الدباغة على دخول المسجد لآكل الثوم بجامع الضرر في كل منهما، وأيضا استند على القاعدة الفقهية التي تقول:(إن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح)

وفي هذا الأمر سئل مطرف وابن الماجشون وأصبغ من علماء المالكية عن حكم شخص أقام مدبغة في بيته تنبعث منها الروائح الكريهة فتؤذي جيرانه وتسبب لهم الضرر فأفتوا جميعا بأن الجيران لهم الحق في إيقاف هذا المعمل وحكموا بإغلاقه.[47]

وتكلم الفقهاء في مسألة إقامة الحمامات والأفران وكير الحدادة أو غيرها مما يتصاعد منه دخان يغير ويلوث هواء جيران هذه المنشئات ، حيث أفتوا بأن يلتزم أصحابها ويجتهدوا في إزالة هذا الدخان، وإلا مُنعوا من إنشاء هذه المنشآت في أماكن يتضرر منها الناس، قال الإمام الغزالي:" ولو اتخذ أحدهم داره مدبغة، أو حماما، أو حانوت قصار، قال الموارنة: تمنع نظرا إلى العادة القديمة ، وقال العراقيون: إذا أحكم الجدران واحتاط على العادة لا يمنع"[48]

أما عن دور مؤسسات الدولة فقد كان هناك ما يعرف بمؤسسة الحسبة هذا المرفق المهم في الدولة الإسلامية تقوم على عاتقه مسؤوليات كبيرة منها المحافظة على البيئة وإلزام الناس بذلك، فمن واجبات المحتسب فيما يخص الأفران والمخابز أن يلزم أصحابها بأن " تُرْفَعَ سقائف حوانيتهم، وتُفتح أبوابها، ويُجْعَل في سقوف الأفران منافس واسعة يخرج منها الدخان؛ لئلاَّ يتضرَّر بذلك الناس، وإذا فرغ الخَبَّاز من إحمائه، مسح داخل التنُّور بخرقة نظيفة، ويأمرهم بإصلاح المداخن، وتنظيف بلاط الفرن في كل ساعة من اللُّباب المحترق، والشرر المتطاير، والرماد المتناثر؛ لئلاَّ يلصق في أسفل الخبز منه"[49]

ومن واجباته ومهامه أيضا أن يراقب الحمامات العامة وإلزام أصحابها بنظافتها وتهويتها" متى بردت الحمام فينبغي أن يبخرها القَيِّم بالخزامى ، فإن دخانها يحمي هواءها، ويطيب

---

[46]المعيار المعرب 419/1.

[47]ينظر التاج والإكليل 164/5.

[48]الوسيط في المذهب، الغزالي 220/4. وينظر: أقوال الفقهاء في تلوث الهواء، محمد إلهامي بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)

[49]نهاية الرتبة في طلب الحسبة، الشيزري ص87-88

رائحتها. ولا يحبس ماء الغَسَّالات في مسيل الحمام لئلاَّ تفوح رائحتها؛ ولا يدع الأساكفة وغيرهم يصبغون الجلود في الحمام، فإن الناس يتضررون برائحة الدباغة ولا يجوز أن يدخل المجذوم والأبرص إلى الحمام"[50]

وتكلم ابن القيم في كتابه الطب النبوي في فصل خصصه للأوبئة والأمراض التي تنتشر بسبب التلوث الهوائي و يدل هذا أن علماء الإسلام كانوا مهتمين بقضايا البيئة، حيث استخلص ذلك من نصوص الكتاب والسنة، وقعّد لها قبل المؤتمرات البيئية بمئات السنين[51] فقال رحمه الله:" والمقصود: أنَّ فساد الهواء جزء من أجزاء السبب التام، والعِلَّة الفاعلة للطاعون، فإن فساد جوهر الهواء الموجِب لحدوث الوباء وفساده، يكون لاستحالة جوهره إلىالرداءة، لغلبة إحدى الكيفيات الرديئة عليه، كالعفونة، والنَّتَن، والسُّمِّيّة في أي وقت كان من أوقات السنة، وإن كان أكثر حدوثه في أواخر الصيف"[52]

وتحدث علماء الإسلام عن هندسة تخطيط المدن وعلاقتها بتلوث الهواء فقد أرجع ابن خلدون كثرة الموت -بعد قدر الله سبحانه- إلى أسباب كثيرة منها المجاعات، ووقوع الأوبئة، وجعل سبب ذلك يعود -في الغالب- إلى فساد الهواء؛ لكثرة العمران وكثرة ما يخالطه من الرطوبة والعفونات، حيث ذكر أنه من الحكمة أن يباعد بين المساكن حتى يتمكن الهواء من التموج؛ ليذهب بما يحصل في الهواء من الفساد والعفن.[53]

وإذا كان ابن خلدون قد أرجع فساد الهواء إلى الازدحام والتكدس السكاني، الذي لم تكن فيه المصانع الكيمائية، وما ينبعث منها، والسيارات ووسائل النقل وما تفعله عوادمها فكيف ببيئتنا اليوم وقد أصبح إفساد الهواء يصل إلى طبقات الجو العليا.

وقد ألف الرازي رسالة في تأثير فصل الربيع وتغير الهواء تبعا لذلك.[54]

بل إن أحد علماء القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) قد ألف كتابا كاملا عن التلوث البيئي وأسبابه وآثاره وطرق مكافحته والوقاية منه، وفصل الحديث فيه عن ثلاثية الهواء والماء والتربة، وتبادل التلوث من عناصرها،[55] فجاء عنوانه:(مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء

---

[50]المصدر السابق
[51]ينظر موقف الإسلام من العبث بالبيئة ص9
[52]الطب النبوي ص60.
[53]ينظر: المقدمة ص302 موقف الإسلام من العبث بالبيئة
[54]ينظر: البيئة والحفاظ عليها في الشريعة الإسلامية، عصام الدين الشعار، موقع إسلام أون لاين
[55]ينظر: البيئة والحفاظ عليها في الشريعة الإسلامية، عصام الدين الشعار، موقع إسلام أون لاين

والتحرر من ضرر الأوباء) والذي حققه يحي شعار، ومن إصدارات معهد المخطوطات العربي بالقاهرة.

ومما ذكره في مقدمة كتابه الغرض من تأليفه ، وهنا يظهر لك جليا أن فقهاء الإسلام كانوا على علم كبير بالتلوث البيئي، فقال: "وكان الباعث لي على تأليف هذا الكتاب والعناية بهذا الأمر، أني نظرت حال علماء الأطباء، الساكنين بالأمصار الفاسدة الأهوية والبلدان المشهورة بالأوبئة، الكثيرة الأمراض، التي يحدث بها عند انقلابات فصول السنة الأمراض القاتلة والطواعين المهلكة؛ لأجل فساد أهويتها بمجاورة الأنهار الكثيرة المدود، والمدائن التي تحدق بها الغدران، ومناقع المياه الآجنة، والمشارب الكدرة، التي تتصاعد أبخرتها إلى الجو فتفسده وتغلظه، مع ما يعضد ذلك ويقويه من أبخرة الزبول[56] ومجاري مياه الحمامات بها، وأبخرة الجيف من الحيوانات الميتة الملقاة في أقنيتها وظواهرها، وعلى ممر سالك طرقاتها، كأرض مصر ودمشق، ... وما جرى مجرى هذه الأمصار العظام التي تجاور البحار، وتخترقها الأنهار، وتحدق بها مناقع المياه الراكدة والجارية، وبخاص ما كان منها منكشفا لمهب ريح الجنوب مكتفلا بالجبال، وبأقوار الرمال عن مهب ريح الشمال، فكان الأولى بالذين يتولون منهم علاج ملوكها، وخاصة رؤسائها، وعامة أهلها، أن تكون عنايتهم بمداواة الهواء الفاسد، المحدث لوقوع الأوبئة بها، الجالب الطواعين على سكانها، أولى وأوجب من عنايتهم بمداواة ما يتحصل بذلك من الأمراض المخوفة في أجساد أهلها. وأن يصرفوا همهم إلى ذلك ويفرغوا له نفوسهم."[57]

"وفي الجملة يمكن القول: إن التراث الإسلامي سبق في وضع تشريعات محكمة لرعاية البيئة وحمايتها من آفات التلوّث والفساد ورسم منهجها في مبدأين هما: درء المفاسد وجلب المصالح وبذل الجهود التي من شأنها أن تحقق ذلك. وكلما دققنا النظر في نصوص الشريعة الإسلامية وصفحات التراث الإسلامي وجدنا منهجا إسلاميا حكيما ينهى عن التلوّث والفساد بكل صوره وأشكاله، ويعوّل قبل كل شيء على رقابة الضمير الذي يحترم القانون الإلهي لخير الناس أجمعين."[58]

---

[56]زُبول: مفرد مصدر زبَلَ.رَوْث الحيوانات، ويستخدَم في تسميد الأرض وإصلاح الزرع. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة 972/2

[57]مادة البقاء ص81.

[58]البيئة والحفاظ عليها في الشريعة الإسلامية، عصام الدين الشعار، موقع إسلام أون لاين.

الخاتمة

- إن التشريعات القرآنية والنبوية أولت موضوع البيئة اهتماما بالغا.
- إن الفقه الإسلامي علم يواكب الحياة ومستجداتها، فأحكامه واكبت متغيرات التلوث البيئي في كل زمان ومكان، ومنها موضوع تلوث الهواء فكل ما جدَّ واستحدثه العالم مما يسبب تلوثا للهواء تجد الفقه وعلماء الفقه قد انبروا له بما يناسبه من الحكم الشرعي والمعالجة الشرعية .
- نوصي بدراسة التشريعات التي جاء بها الإسلام، والاستفادة منها في معالجة واقع البيئة في عالمنا المعاصر، ومنها تلوث الهواء.

قائمةالمصادر

- أحكام البيئة في الفقه الإسلامي، عبد الله بن عمر السحيباني، دار ابن الجوزي- السعودية، الطبعة: الأولى 2008م.
- أحكام البيئة في الفقه الإسلامي، عدنان بن صادق ظاهر، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والقانون- الجامعة الإسلامية بغزة،2009م
- الإسلام وحماية البيئة من التلوث، حسين غانم ، جامعة أم القرى مركز البحوث والدراسات السعودية، 1997م.
- أقوال الفقهاء في تلوث الهواء، محمد إلهامي، بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، 2014.
- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية
- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تحقيق: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م
- البيئة في الفقه الإسلامي وقاية وتنمية ، خليل الميس، بحث مقدم للمجمع الفقه الدولي المنعقد في إمارة الشارقة في دورته التاسعة عشر.
- البيئة والحفاظ عليها في الشريعة الإسلامية عصام الدين الشعار، موقع إسلام أون لاين على شبكة المعلومات الدولية.
- البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامي، عبد الستار أبو غدة، بحث مقدم للمجمع الفقه الدولي المنعقد في إمارة الشارقة في دورته التاسعة عشر.

البيئة والمحافظة عليها من منظور إسلامي، محمد جابر الألفي، بحث مقدم للمجمع الفقه الدولي المنعقد في إمارة الشارقة في دورته التاسعة عشر.

- تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م
- التاج والإكليل لمختصر خليل، محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري أبو عبد الله، دار الفكر، بيروت، 1398ه.

- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري، تحقيق:إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى، 1417ه.
- حماية البيئة من منظور إسلامي، طلال محمد المومني، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد الثاني-2006م.
- رعاية البيئة في شريعة الإسلام، يوسف القرضاوي، دار الشروق القاهرة، 2001م، ط: الأولى.
- رؤية الشريعة الإسلامية ومنهجها في الحفاظ على البيئة، محمد محمد الشلش، جامعة القدس المفتوحة- فلسطين.
- سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق : عبد الغفار سليمان البنداري , سيد كسروي حسن دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، 1411 - 1991
- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد ناصر الدين الألباني، دار الصدّيق، الطبعة: الأولى، 1421هـ
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي – بيروت،تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008م
- معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية، 1401هـ - 1981م
- المفهم لما أشكل من صحيح مسلم، أبو العباسأحمد بنعمر القرطبي،تحقيق: محي الدين مستو وآخرون،دار ابن كثير، بيروت،الطبعة: الرابعة،2008م
- المقدمة، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم- بيروت، 1984م
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، 1392.

- موقف الإسلام من العبث بالبيئة (محاربة "الفساد البيئي" على ضوء الكتاب والسنة ومقاصد الشريعة)، مولاي المصطفى البرجاوي، بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية، موقع الألوكة،2011م

- موقف الشريعة من موضوع حماية البيئة، إيمان قشوش، رسالة ماجستير، جامعة حيفا- كلية الآداب،2007.